

التراث المعماري لقصور تافيلالت وأدوارها التاريخية
Architectural legacy of Tafilalet palaces and their historical roles

إبراهيم الوثيقي

معهد الآثار والتراث الرباط

البريد الإلكتروني: masterdsd01@gmail.com

تاريخ النشر Publication date	تاريخ القبول Acceptance date	تاريخ التلقي Submission date
2020-12-27	2020-11-15	2019-12-25

ملخص الدراسة:

نخلص في النهاية إلى أن التراث المعماري بتافيلالت له خصوصيات حضارية وثقافية رصعت صدر واحاتها والذي أصبح اليوم يحن إلى عودة الزمن الجميل زمن انسجم فيه الإبداع والفكر الإنساني مع المجال فأفرز لنا لوحات فنية طبيعية تعكس مقدار تشبث الإنسان الفيلاطي بالأرض وإيماننا منا - أبناء المنطقة - بضرورة إيصال ما تتخبط فيه هذه اللوحات من الاكتساح الإسمنتي وعدم الاهتمام بهذا المعمار التراثي وأوياتي في انتظار ان يعاد اليه الاعتبار كما وضع ذلك لباحث "محمد الخو في دراسة ميدانية اعداها تحت عنوان " قصور تافيلالت، الأهمية التاريخية وأشكالية التدهور" خلال القرن 20م.

Abstract

In the end, we conclude that the architectural heritage of Tafilalet has civilizational and cultural peculiarities that encrusted the chest of its oases, which today has become a yearn for the return of the beautiful time, a time in which creativity and human thought have harmonized with the field, thus creating natural artistic paintings for us that reflect the extent of the filial man's attachment to the land and our belief - the people of the region - in the need to deliver The concrete sweeping of these paintings and the lack of interest in this heritage architecture and my districts waiting for it to be restored to it, as explained by the researcher of "Muhammad Al-Khoo, in a field study prepared by him, entitled" Tafilalet palaces, the historical importance and problem of deterioration "during the 20th centur.

تقديم

يتوفر المغرب على تراث معماري متنوع وغني، يتمثل في القصور والقصبات والقرى ذات الحمولة المعمارية الأثرية، هذه المآثر العمرانية عرفت تراجعاً كبيراً نتيجة عدة عوامل طبيعية وبشرية وغيرها من العوامل التي تسببت بشكل مباشر أو غير مباشر في تدهور هذا الموروث الثقافي الأصيل، تراث يجسده تاريخ القرن الماضي "القرن العشرين الميلادي" 20م، وبداية القرن 21م، هذا جعل من كل الباحثين وكل المؤسسات الوطنية الخاصة بالتراث المعماري تعيد الاهتمام على المستوى الجهوي والوطني بل والدولي لمجموعة من المدن العتيقة نذكر من بينها " مدينة فاس، مراكش، مكناس " ثم رد الاعتبار في الآن ذاته لبعض القصور والقصبات وخاصة ذات الطابع السياحي بأبعاده التنموية ذات التحولات السوسيو- مجالية، التي تلعبها المباني العمرانية تاريخياً رغم الاختلال والتدهور الذي تتعرض اليه.

ان التراث المعماري سواء في شقه المادي أو الغير المادي، مرتكزا أساسيا للتنمية المجالية كانت حضرية أو قروية بل ومطلقا لتشييد مشاريع تنموية جهوية داخلية، لكن هذا يتطلب من كل الفاعلين من مجتمع مدني وجمعيات ومؤسسات حكومية وغيرها، حماية التراث العمراني والمحافظة عليه ثم صيانتة وتأهيله بل وتثمينه ليكون بمثابة مفتاح مرشد لكل الوافدين على الثقافة المغربية.

عرف التراث المعماري إلى جانب مكوناته المادية المتمثلة في القصور والقصبات وما تحمله من مكونات وأدوات ذات حمولة تاريخية وفنية أصيلة، تراث غير مادي تمثل في صيت الثقافة المحلية من "رواية شفوية واهازيج ولهجات و"فولكلور" محلي وجهوي يجتمع بين نقط التشابه بين الثقافة المغربية، والاختلاف حسب المناطق والجهات نظرا للتحويلات السوسو- مجالية التي عرفها المغرب عبر التاريخ.

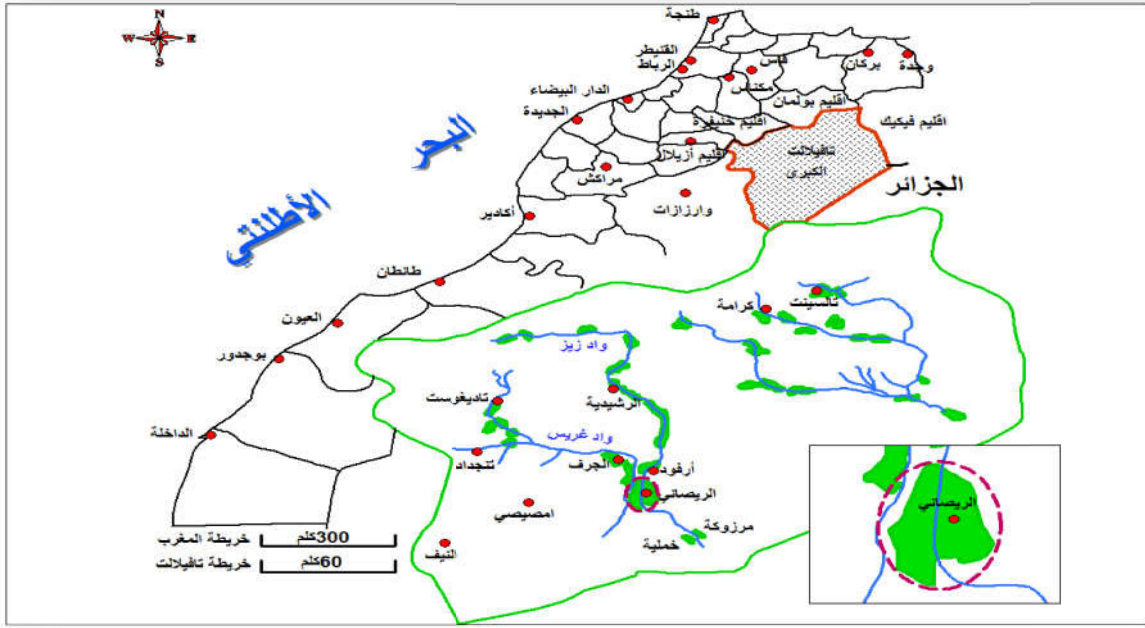
منطقة تافيلالت عبر التاريخ

موقع تافيلالت واصل التسمية

• الموقع

تقع منطقة تافيلالت من الناحية الجغرافية في أقصى الجنوب الشرقي لجبال الأطلس الكبير، تحدها واحة درعة في الجنوب الغربي، بينما واحة فكيك والجزائر في الشمال والشمال الشرقي، وقد كان هذا المجال منحصرًا في محيط الموقع الأثري لحاضرة سجلماسة المحاذي لمدينة الريصاني الحالية، قبل أن يتسع نطاق تافيلالت ويطل حمادات ووحدات كبر شرقا، ومجالات واد غريس غربا، ويضم منابع وادي زيز وملوية العليا¹.

الخريطة توضح: موقع تافيلالت داخل التراب الوطني



المصدر: منوغرافيا جهة درعة تافيلالت

¹تزي (عبد الله)، " المسالك الطرقية بجهة تافيلالت بين ارث الماضي، وتحولات فترة الاحتلال (1912-1927)", جامعة المولى علي الشريف، الدورة الرابعة عشر، [مركز الدراسات والبحوث العلوية الريصاني، 10-11 نونبر 2006]، الرباط: دار المناهل، منشورات وزارة الثقافة، 2007، (ص 11)

تعد جهة درعة تافيلالت ثاني أكبر جهة من حيث المساحة التي تقدر بـ "132137 كلم/مربع" وتمثل حوالي 15 من مساحة المملكة وتضم الجهة خمسة أقاليم: " الرشيدية، ورزازات، ميدلت، تنغير، زاكورة " وتتوفر على 115 جماعة البلدية حضرية ناشئة.¹

أما من حيث الاحداثيات الجغرافية فتقع في عرض 17 درجة و37 دقيقة شمالا و16 درجة و4 دقائق شرق خط غرينيتش علو يقدر بـ 765 متر فوق سطح البحر وتحتل موقع استراتيجي هام لكونها تعد مجالا سهلي، كان يحتضن في القديم مدينة سجلماسة الأثرية، التي شكلت ملتقى القوافل التجارية العابرة في اتجاه السودان، وجعل من المنطقة سوق تجارية تستقطب القبائل المجاورة من الرحل والمستقرين وهذا كان منطلق لتشييد العمران بتافيلالت الذي شكل مهدا للمكون الثقافي والسوسيو اقتصادي وهذا بدوره اعطى أهمية للازدهار معمار القصور التي تنقسم بدورها إلى المشيخات كما سنرى في الجدول اسفله.²

الجدول رقم 1

عدد	عدد قصورها سكانها	
7800	22	مشيخة السيفا، تقع في شمال الواحة وتمتد تسميتها من المجال الذي توجد به
6000	18	مشيخة بني امحمد، تقع في الشمال الغربي بالنسبة لقبائل بني محمد
8000	38	مشيخة واد افلي، في الوسط الشرقي، أخذ هذا الموقع تسميته نبات فليوالذي كان منتشرا بكثرة في هذا المكانا مدلول هذه الكلمة تعني الخطارة عند قبائل توارك ويحتل هذا الموقع مكانا متميزا وسط سهل تافيلالت
8200	40	مشيخة السفالات: تقع في الجنوب الغربي بالنسبة إلى موقعها في سافلة الواد

أصل تسمية منطقة تافيلالت

وضع الباحثين الأوائل كلمة تافيلالت كمرادف لكلمة سجلماسة، وهذا ما جعل الاختلاف في ما بينهم حول تاريخ ظهور تسمية تافيلالت وحدودها الجغرافية، وهذا ما أكده الباحث "العربي مزين" و الباحث "مبارك بوعصب" يقدم اسم تافيلالت على سجلماسة وتجد كذلك الباحث "محمد الوزاني صاحب كتاب" وصف افريقيا، في النصف الأول من القرن العشرين الهجري السادس عشر الميلادي لم يستعمل لفظ تافيلالت وإنما ذكر تلك المناطق باسم سجلماسة، وبناء على هذه الدراسات التاريخية التي قدمها الباحثين، تبين أن لفظ تافيلالت يعود إلى تاريخ اقدم من ذلك بدليل أن ابن خلدون استعملها أكثر من مرة خلال حديثه عن موطن أولاد حسين وأولاد ابي الحسن من عرب بني معقل وهو ما تؤكد الرواية الشفوية بالمنطقة، التي ترجع بدورها تسمية تافيلالت إلى العصر الوسيط وخاصة الفترة التي شهدت قدوم العلويين أواخر القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي.

تعود كلمة تافيلالت من منظور الباحث أمزيان إلى اصل امازيغي يقصد بها القدح، لأن المنطقة تشكل حوضا تجتمع فيه مياه وفيضانات نهري زيز وغريس وقالت الباحثة "جاك موني" ان كلمة تافيلالت هي تصغير لكلمة افيلال، التي تطلق على سلسلة جبلية صغيرة وفي مقابل ذلك رأى الباحث "جاندر" بأن كلمة تافيلالت هي الصفة

¹ المصدر متوغرافيا تافيلالت ص 1.

² مبارك بوعصب: مساهمة في دراسة قصور تافيلالت من سقوط سجلماسة الى نهاية القرن العشرين" التاريخ والمعمار والانتقاد، " أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه بجامعة سيدي محمد بن عبد الله فاس-ساييس 2010-2011 ص 18 بتصرف.

البربرية لكلمة أفيلال التي تدل على منطقة بالجزيرة العربية واستعملها قد شاع في مرحلة قدوم الهلالين إلى بلاد المغرب بفضل عرب الصباح الذين استقروا في منطقة تيزيبي والجرف وإقليم سجلماسة بعد ان رافقوا الهلالين في طريقهم نحو الغرب ولقد شكل هذا التداخل في الروايات الشفهية خلط بين الاسمين بالنسبة لعدد من الدارسين، المهتمين بتاريخ المنطقة.¹

تاريخ سجلماسة

يحتفظ معظم سكان منطقة "سجلماسة" تافيلالت حاليا" بذكرات جميلة لمدينتهم التي يطلقون عليها اسم "المدينة العامرة" أو "المردومة" أي المطمورة وهم يتذكرون المدينة أكثر من بدايتها ويشيرون إلى أن مدينة سجلماسة اتخذت شكلا طويلا وضيقا على ضفاف وادي زيز وتمتد من قصر المنصورية في الشمال إلى قصر تابوعصامت بالجنوب، إذ تبلغ مسافتها نصف نهار مشيا بالنسبة لرجل ونهارا كاملا لامرأة من المنطقة أي ما يقارب ثمان كيلومترات، بينما يتراوح عرض المدينة ما بين كيلومتر واحد وكيلومتريين.

وتؤكد الرواية الشفهية أيضا أن منطقة تافيلالت لا تضم سوى مدينة واحدة وهي سجلماسة الكبرى التي تقع كاملة شرق وادي زيز وتوافق الموقع المعروف حاليا والذي يطلق عليه اسم "المدينة العامرة" أو "المردومة". وكانت المدينة تربطها بالسوق المعروفة بابن عقلة، قنطرة واحدة شيدت على وادي زيز كما تشير هذه الرواية إلى أن تطور مجال القصور المنعزلة، جاء مباشرة بعد تخريب المدينة، إلا أن بعض القصور يعود أصلها الأول إلى فترة سجلماسة في حين أن أغلب القصور العلوية الحالية ترجع إلى فترة اندثار المدينة.

فيما يخص الأسوار والأبواب، تقول الرواية الشفهية أن مدينة سجلماسة لم تكن محصنة بسور، وأن السور المعروف بالمنطقة كان يحيط بالواحة كلها.

ومع ذلك تعترض إشكالية التحديد الحقيقي لموقع سجلماسة عقبات عديدة، إذ أن الكثير من المعطيات الأثرية تستخلص أساسا من اللقي الخزفية المكتشفة بالموقع، كما أن الحفريات المنجزة بمدينة سجلماسة لحد الآن لازالت محتشمة، بالرغم من استغلال موقع سجلماسة لفترة طويلة تمتد من سنة 140 هجرية ميلادية إلى حوالي سنة 795 هجرية/1393 ميلادية، فإن المعطيات الطبوغرافية والإستراتيجية لم تحدد بدقة لحد الآن وتؤكد إجمالا أن الكثير من الطبقات الأثرية تعرضت للاضطراب بفعل إعادة استغلال الموقع في فترات لاحقة بعد تخريب مدينة سجلماسة كبناء القصبية السجلماسية والقصور والمراكز الصناعية والمقابر. كما تعرضت بعض الطبقات الأخرى لتشوهات كبيرة بفعل فيضانات وادي زيز. ففي حفريات 1992 ميلادية، وبالرغم من هذه المعوقات "الستراتيجية"، يمكن الاعتماد على المعطيات المجمعة لرسم خريطة أثرية أولية تشمل مدينة سجلماسة والواحة كنموذج نظري على الأقل لما كانت عليه في تلك العصور السالفة. كما أن المقارنة بين المعطيات الطبوغرافية والصور الجوية والمسح الأثري من جهة، والرواية الشفهية والكتابات التاريخية من جهة ثانية تمكن من الحصول على صورة تقريبية عن مجال سجلماسة وخاصة عن مركزها الحضري في السنوات الأخيرة قبل اندثارها.²

اعتمدت الخريطة التي تغطي الجزء الشمالي للموقع على مقياس 1/50.000 وبالنسبة للواحة على مقياس 1/250.000، واستعملت أساسا لتحديد حدود موقع سجلماسة وحدود محيطها الإيكولوجي. فالصور الجوية وصور الأقمار الاصطناعية تقدم نظرة عامة على مجال سجلماسة.

¹ نفس المرجع بتصرف.

² مجلة المناهل" مجلة فصلية تصدرها وزارة الثقافة المغربية فبراير 2005 العدد72-74 ، من تأسيس "الحاج محمد أبا حنيفي" عنوان العدد "العمارة في الغرب قديما" مقال د، لحسن تاوشيخت، ص من 287 الى 327 بتصرف.

وساعد البحث الأثري بالمنطقة على اكتشاف بقايا المنازل، والأسوار، والأبواب والقنوات المائية الموزعة على عدة أماكن داخل المجال الوسط لموقع سجلماسة.

كما توضح الصورة الجوية بعض الأنقاض المتبقية التي تبرز كمكونات معمارية متوافقة. فبقايا الجدران المدفونة تحت الأنقاض على سبيل المثال لا الحصر، تختلف في الغالب عن مثيلاتها الموجودة فوق السطح من حيث تكوينها وشكلها الهندسي. هذه المخلفات تشير من جهة أخرى، إلى وجود آثار تحت مستوى القصبة السجلماسية. الأسبار الأثرية المنجزة في موسم 1990 و1992 و1993 و1994 ميلادية كشفت عن جزء من هذه الأسوار التي تنتمي فعلا إلى مدينة سجلماسة.

وكشفت التحريات الأثرية عن بعض بقايا السور الذي شكل جزءا من تحصينات الواحة على طول الضفة الشرقية لوادي غريس إلى غاية قصر مولاي عبد المؤمن "المندرس" بشمال غرب الواحة. ويظهر السور متقطعا في نقطتي منعرج وادي غريس بفعل التعرية النهرية، واندثرت منه أجزاء أخرى بفعل أعمال الزراعة، يمتد الجزء الأول من السور على مسافة حوالي ثلاث كيلومترات ونصف، بينما يظهر جزءه الثاني في الصور الجوية وهو يحيط بركن الجنوب الشرقي للواحة على مسافة حوالي ست كيلومترات. كما أن السور المحيط بالواحة تعرض بدوره للتعرية ولتدخل الإنسان منذ اندثار سجلماسة، إلا أن بقاء بعض أجزائه يؤكد أن الواحة كانت فعلا محصنة.

وتتمثل الأبواب في باب فاس بالشمال الذي يتخذ شكل بناية مرينية لازالت تحتفظ بأهم خصائصها المعمارية، وتقع أجزاء منها بداخل قصر المنصورية ويوجد الموقع المفترض بالقرب من قصر أمسيقي، لكن شكله تعرض لعدة تغييرات.

يبدو أن سجلماسة كانت مدينة مجمعة على الأقل في مركزها الأوسط وهي تمتد على مساحة كيلومتر مربع واحد، لكن دون أن يكون بناؤها مكثفا إذ اتخذت دور منعزلة أو قصبات في الشمال وفي الجنوب، وهذا ما يؤيد إشارة البكري بأن المدينة كانت تحيط بها أرباض.

من جهة أخرى عملت مختلف الأنظمة التي تعاقبت على حكم سجلماسة كل جهدها من أجل استغلال المصادر الطبيعية للمياه، وتنظيم المجال الفلاحي وشبكة مياه السقي والتجارة البعيدة، وتحصين المدينة، وتوطين السكان في الأحياء حسب الانتماء القبلي وربما الحرقي، فبدأ هذا الاهتمام منذ فترة تأسيس المدينة من طرف بني مدرار إلى غاية العصر العلوي¹.

يعتبر حجم سك العملة الذهبية من المؤشرات الدالة على التجارة البعيدة، فإذا كانت المادة الأولية التي تدخل في ضرب النقود المستوردة من بلاد السودان، فإن قيمة العملة كانت تستعمل كما هي كسلعة للتبادل في تجارة القوافل أكثر منها في الاقتصاد المحلي. وتفسير مراقبة الجهاز الحاكم لعملية ضرب النقود الذهبية لأن الدولة كانت تلعب دورا مباشرا في هذه التجارة البعيدة، باعتبار أن مادة الذهب كانت تمثل المدخول الرئيسي للدولة، وكان من أهم العقبات السياسية والعسكرية التي واجهتها الدولة المغربية تتجلى في ضرورة حماية مسالك القوافل التجارية ومراكزها من الأخطار الخارجية وفي المواجهة السريعة والقوية لظهور الزعامات المحلية التي من شأنها تهديد السير العادي للتجارة الصحراوية والاستقرار العام للدولة ككل ويمكن القول ان سجلماسة كانت تعتمد على فلاحية متنوعة وعلى نظام دقيق للري على صنائع مختلفة ترتبط بالمنتجات الفلاحية وبالمناجم المعدنية وتجارة القوافل. وكانت التجارة أساس ازدهار المدينة وكانت أيضا من عوامل اندثارها.

وإذا وقفنا عند تاريخ وموقع سجلماسة، فإن معلوماتنا عن عمارتها من حيث تركيبها الهندسية وتطورها، تبقى ضئيلة وذلك بسبب عدة أسباب أهمها أن المصادر المكتوبة المعاصرة، اهتمت كعادتها بالوقائع السياسية التي شكلت

¹ مجلة المناهل عدد 73-74 مقالة د: لحسن تاوشيخت، مرجع سابق.

تاريخ سجلها بمؤهلاتها الاقتصادية ودورها التجاري وأغفلت تنظيمها العمراني، وبالرغم من ذلك قدمت الأبحاث الأركيولوجية بموقع سجلها عدة معطيات مهمة تغطي بعض النقص الحاصل في الكتابات التاريخية والرواية الشفوية.

• جرد المفاهيم

• الأثر العمراني¹

هو المبني الذي يعكس أهمية خاصة دينية، حضارية، تاريخية أو معمارية كالمساجد والأبراج القديمة والقصور والأسوار.

• التراث العمراني

التراث العمراني هو الجانب المادي من الجانب المادي من التراث الحضاري، ويمثل ذاكرة الأمة بكل ما فيها من أحداث تمت على مر التاريخ وتأثرت بالظروف الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والبيئية ويعكس عمل التفاعل الإيجابي للإنسان مع البيئة المحيطة².

• الحماية المحافظة

تكون المناطق التاريخية أو الأثرية وتختص بالمباني بعينها أو البيئة العمرانية العامة، كما تتسع لكي تشمل حماية الهيكل والنشاط الاجتماعي والاقتصادي وكذلك حماية الصورة البصرية العامة جنباً إلى جنب مع الهيكل العمراني.

• الترميم

ترتبط بالمباني ذات الطابع المميز التاريخي أو الأثري وترتبط بشكل أكبر بتعامل الأثرين دون المعمارين، لأنها تختص بأعمال الواجهات والتشطيبات الخارجية للمباني التي تحتاج لترميم لتعاد إلى شكلها الأصلي³.

• القصر: الدلالة والمفهوم

تعددت التعاريف التي قدمها الباحثون لمصطلح القصر، ذلك الكيان العمراني الذي ساد جل أنحاء منطقة تافيلالت وفيما يلي جرد لبعض التعاريف التي توصل إليها هؤلاء الباحثين:

" القصر مصطلح يدل على كيان عمراني، ينتشر بواحات المغرب الشبه الصحراوي : واحات فكي، واحات درعة، واحات تافيلالت وواحات حبل باني " ⁴

"يشكل القصر خلية سكنية، تضم العديد من المنازل والأسر التي يجمعها تقارب وتشابه أنماط العيش... " ⁵
" هو الوحدة السكنية الأساسية ، ولا نقول الاجتماعية لسكانة الواحات ... وهو معمار تقليدي محلي فرضته ضرورات المناخ والمجال والتاريخ ... وهو أنواع مختلفة ، لكن ذات بنية معمارية تكاد تكون واحدة... " ⁶

¹ دليل المحافظة على التراث، الطبعة الأولى 1426، المملكة العربية السعودية، وزارة الشؤون البلدية والقروية مكتبة الملك فهد الوطنية ص5

² دليل المحافظة مرجع سابق.

³ دليل المحافظة نفس المرجع.

⁴ البلعميشي (عبد الرحمان) وآخرون : القصور والقصبات، دراسة تفصيلية لمصطلحات عمرانية، بحث لنيل دبلوم مهندس معماري ، المدرسة الوطنية للهندسة المعمارية، الرباط ، 1992 ، (ص 77).

⁵ امراني (علوي محمد) : « القصور بالجنوب المغربي » ، المناهل ، عدد 88 ، يناير 2011 ، (ص 214) .

⁶ قسطنطي (بن محمد) ، : الواحات المغربية قبل الاستعمار " غريس نموذجاً " ، الرباط : مطبعة المعارف الجديدة ، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية ، سلسلة الدراسات والأطروحات - رقم 3 - ، 2005 ، (ص 36 - 37).

" يشكل القصر وحدة سياسية واجتماعية ... تنتظم داخله حياة جميع الأفراد والمجموعات ، إذ هو عبارة عن جسم مستقل في الواحة يدير شؤونه الخاصة بمعزل عن تأثير خارجي ، وينقسم القصر إلى أرباع أو فلكات يختلف عددها من قصر لأخر ، ويطلق على القصر الواحد منها اسم (اغمم).

التنظيم الاجتماعي للقصر بمنطقة تافيلالت

إن من بين العوامل المساهمة في المكانة الاجتماعية داخل القصر، نجد عامل النسب، الذي يؤثر في خلق انصهار ثقافي وبشري في الآن ذاته، ويضيف إن الظروف التاريخية بدورها وخاصة المرتبطة باستقرار ذوي النسب الشريف أي العلويين بتافيلالت في النصف الثاني، من القرن السابع الهجري ليتقوى نفوذهم بعد ذلك في القرن العاشر الهجري أي في الفترة السعدية حيث شكل الإشراف العلويون إمارة شبة مستقلة بتافيلالت.¹

أولاً: النظام الاجتماعي و العرفي للقصر

تميزت الأعراف القبلية لمنطقة تافيلالت بابتكار مجموعة من القوانين المنظمة للمجال الجغرافي بالمنطقة، ونجد أن قصور مدينة الريصاني قد فرضت عليها الظروف السياسية والاقتصادية أن تخلق أنظمة اجتماعية تلائم أنماط عيشها.

يضع الباحث من خلال هذه المقالة تساؤل جوهري، ما المقصود بالعرف أو الأعراف بصيغة الجمع؟ يعرف د: "لمرني علوي" العرف بناء على التفسيرات الفقهية بكونه " كل خصلة حسنة ترتضيها العقول وتطمئن إليها النفوس، وإذا اعتادت الجماعة أمرا صار عرف لها، لذلك فالعرف والعادة متلقيان في المؤدى وفي المعنى كذلك حتى وان اختلف مفهومها. كما انه يمكننا القول بان قواعد العرف لها طابع إلزامي ولو كان الناس يجهلونه لأن الأصل فيه أنه لا يعذر أحد بجعله للقانون.

كما أن النص " القرآني الكريم" الذي يعتبر المصدر الرئيسي للتشريع قد تعرض للعرف في العديد من السور كقوله تعالى.

"والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف" سورة التوبة آية 72"

إذا يمكننا القول كما جاء به الباحث لا اختلاف بين فقهاء الإسلام فيما يتعلق بالأعراف والعادات مادام ذلك لا يتعارض مع النص القرآني أو يتصادم معه في روحه ومبادئه.

الهيئة التشريعية نموذج قصر اخنوس في عهد السلطان مولاي الحسن الأول "1873-1894م من خلال وثيقة محلية عائلية ننشرها لأول مرة

النظام السياسي للقصر

أولاً: شيخ القصر

ان اختيار شيخ القصر يخضع لموازن القوى الاجتماعية داخل القصر، ونعني بذلك الوزن الاجتماعي لفروع وأفخاذ شجرة الأنساب العلوية أي "لعظام" حسب لسان أهل تافيلالت ويراعي أيضا في هذا الجانب اتزان الشخص المنتخب وسلوكه وعلمه ووزنه داخل المنظومة الاجتماعية التي ينتمي إليها، أن اختيار الشخصية المناسبة، وفق المقاييس المذكورة لتبوؤ مكانة شيخ القصر، تتم بشكل علني في اجتماع مخصص لهذا الغرض بموافقة سكان أخنوس، وفي بعض الأحيان على حد الصائم ويقصد بهم الأشخاص البالغين سن الرشد، يجتمع شرفاء قصر اخنوس الكبير والصغير منهم ويدلون بأرائهم حول العهد المتفق عليه على حكم واحد ويعينون الشيخ المناسب لهم حيث قد عينوا مولاي الحسن بن طاهر شيخا على الجميع وعينوا له سنة كل واحد مزارك على إخوانه.²

¹ منشورات "مركز الدراسات والبحوث العلوية" مدينة الريصاني مارس 1998، مداخلة الأستاذ " محمد لمراني علوي" التنظيم الاجتماعي.

² المرجع نفسه بتصرف

ثانيا: الإطار التنظيمي لمجتمع القصر

إن الإطار التنظيمي لمجتمع القصر والإطار العرفي لمجتمعات القصور بمنطقة تافيلالت يعتبر بمثابة المرجعية الرئيسية للبنية التنظيمية العامة للفئات الاجتماعية المكونة للوحدة السكنية المغلقة والمتجلية في القصور. وهذا الإطار التنظيمي هو قانون داخلي خاص بالقصر نفسه ولا يلزم سواه من مجتمعات القصور ولكن هذا النظام الداخلي يطبق على كل الوافدين إلى القصر ماداموا متواجدين بجريمة وعلى العكس من ذلك، فالقصر مطالب باحترام وتنفيذ كالقوانين والأنظمة وأداء كل الواجبات، والتمتع بكل الحقوق المفروضة عليه في إطار المشيخة الاجتماعية التي ينتهي إليها.¹

ومن أهم الاتفاقيات التي عرفتها قصور تافيلالت وخاصة مدينة الريصاني، الاتفاقيات التنظيمية التي تنظم العلاقات بين القبائل والقصور لكون هذه القبائل تتشكل من بقايا القبائل التي عمرت الواجبة في عصور غابرة وما يجمع بين هذه القبائل إلا اسم القصر الذي تستوطنه المصالح المشتركة بين واحة القبيلة. ومن بين هذه الاتفاقيات نجد.

ثالثا: الاتفاقيات التكفلية

تعقد الاتفاقيات التكفلية عادة بين بعض الزوايا ومجموعة من القبائل المترحلة أو بينها وبين القصور وتسمت هذه الاتفاقيات التكفلية لبعض قبائل ايت عطا وقبائل سرات بالتحول من الانتجاع إلى الاستقرار والارتباط الأمر الذي أدى إلى إخلال التوازنات الاجتماعية القديمة بواحة درعة وأعطى اشكالية جديدة من التوازنات.² الاتفاقيات الصلحية واتفاقيات تيسى، كانت هذه الاتفاقيات تعقد بين قبيلتين أو بين مجموعة من القبائل يجمعها لف واحد أو تنضوي تحت لفين متعارضين لوضع حد من الحروب القبلية ولا يظهر هذا النوع من الاتفاقيات إلا في أوقات النزاع السلطوي بالمنطقة أو إذا شصبت الصحراء وقحط رعائها. رابعا: الاتفاقيات التنظيمية.

هذا الصنف من الاتفاقيات أكثر الأصناف انتشارا بقصور الوادي وبفضل هذه الاتفاقيات أمكننا هذا النوع ملاحظة المكونات الاجتماعية لقبائل القصور فالساكنون في القصر هم في الواقع نتاج خليط من العناصر الإفريقية والأمازيغية والعربية. وتسهّر هذه الاتفاقيات على تنظيم الشؤون العامة لقبيلة القصر، ويثم عقد هذه الاتفاقيات عادة بين ممثلي مختلف العظام الذين يشكلون جماعة القبيلة بحيث كانت تعد من المرتكزات الأساسية، عند قبائل القصور بدرعة خلال القرن 19م ويتم تجديد شروط هذه الاتفاقيات في كل قصر على رأس كل سنة أو سنتين مع تجديد أعضاء الجماعة واختيار الشيخ وقد تجدد وسط السنة في ظروف استثنائية إذا ما دعت الضرورة ذلك وقد يعتمد الشيخ والجماعة إلى تغيير بعض الشروط وإضافة شروط أخرى، لكي تكون الاتفاقية في مستوى المستجدات اليومية وما قد يطرأ من مشاكل بين سكان القصر.

التنظيم الاجتماعي لقصور تافيلالت

أ-المكونات الاجتماعية لسكانة القصر بمنطقة تافيلالت

يتكثل السكان في ما بينهم داخل القصر في تجمعات أبوية، تختلف هذه التجمعات حسب الفئة الاجتماعية المعنية، وطبقا للقرابة العائلية حيث يعد الفرد بنسبه الخاص داخل القصر وليس داخل قبيلة معينة وفي بعض الحالات يمكن للفرد أن ينسب إلى لفيف خاص من القصور نذكر هنا على سبيل المثال " وادي زيز السفلى أو عرب الصباح يحصل كل واحد منهما قصرا أو قصورا في مناطق مجاورة.

¹ منشورات كلية الأدب والعلوم الإنسانية سلسلة الندوات والأيام الدراسية، ملتقى حضاري وفضاء للثقافة والإبداع أيام " 12-13-14، نونبر 1992.
² المرجع نفسه بتصرف.

ينقسم المجتمع الفيلالي إلى طبقات اجتماعية لدى سكان القصور وهذا يجعل من زائري سكان القصور يميزون بين ستة أصناف من الفئات الاجتماعية، وهي الشرفاء والمرابطون والعوام والحراثين، والعبيد واليهود، كان الشرفاء المرابطون يتمتعون بطبيعة اجتماعية متميزة أكثر، الشرفاء هم الأفراد الذين يعتبرهم المجتمع أنهم من سلالة الرسول "ص" أو عن طريق مولاي إدريس الأول في مدينة فاس أو مولاي على الشريف في تافيلالت، فالأول هو الذي أسس الدولة العربية في المغرب في القرن الثامن الميلادي والثاني هو الجد الأكبر للدولة العلوية التي تولت الحكم في المغرب خلال القرن السابع عشر ونجد الشرفاء ينتشرون في المغرب ككل ولهم تأثير كبير في الحياة السياسية والاجتماعية ولهم امتيازات عديدة بحيث نجدهم يتمتعون بخصائص وبحصانة خاصة إلى جانب امتيازهم بالورع والتقوى، عرفوا بصفة الأولياء الصالحين إلى جانب قيامهم بالوساطة السياسية والتحكيم بين الناس وهنا تقوم بعض الزوايا بكل هذه الوظائف وتختص الأخرى بوحدة منها أو اثنتين فقط ويلعب الشيخ أو رئيس الزاوية باعتباره من أبناء الولي الصالح دورا رئيسيا في السهر على كل الأنشطة السياسية والدينية التي كانت تقام داخل الزاوية¹

يجتمع شرفاء منطقة تافيلالت كسلالات صغرى داخل قصور خاصة أو يشكلون بعض العائلات بالقصر الواحد ونجدهم يحرصون على التزاوج في ما بينهم وخاصة الإناث أما الذكور قد يتزوجون من خارج القبيلة "ص46".

ان معظم ساكنة منطقة تافيلالت يزاولون الفلاحة ولهم ممتلكاتهم الخاصة المستقلة ويقومون بدور نشيط في تسيير قصورهم وإدارتها، تعرف هذه الفئة في منطقة وادي زيز الفلاحون الأحرار يتميزون بالتنظيم السلافي، الذي يميز فئة الأحرار على باقي الفئات الدنيا "كالحراطين" بالإشارة إلى تنظيمهم السلافي، وإلى بشرتهم البيضاء والواقع أن كثيرا من الفلاحين والبدو ذو بشرة سمراء وهذا يرجع إلى قرون من التمازج بين فئة العبيد الأفارقة والسود وذريتهم إلا أن صفة البشرة البيضاء تحدد بالأصول الأبوية أكثر من لون البشرة المعهود فإذا كان الجد عربيا أو أمازيغيا أبيض فإن أبنائه وحفدته كذلك.

إن فئة الحراثين اشتهروا بمنطقة تافيلالت بالعمل اليدوي في الواحات، لهم وضعية اجتماعية دنيا في نظر الطبقات الثلاث المذكورة سابقا، ومازال أصل الحراثين موضوع نقاش، البعض يعتقد أنهم من الناس الذين دخلوا إلى المنطقة قديما في العصور الحجرية والبعض الآخر يرجع أصلهم إلى عبيد غرب إفريقيا الذين تزوجوا مع السكان العرب والأمازيغ ويتميز معظمهم ببشرة سوداء وملامح زنجية وهم في نظر السكان البيض مغاربة يختصون بجمع الحطب ويجلبون الماء ولكنهم ليسوا عبيدا، يشتغل الحراثين مقابل خمس الغلة ومصطلح الخماس يحيل على الإنسان الذي يشتغل على الأقل بخمس الغلة، يستعمل كمرادف للحراثين "ص" "48" ليس لديهم تنظيم سلافي قوي، ولا يحددون نسبهم عادة في أكثر من ثلاثة أجيال ويشكلون جزءا أكبر من مجموع ساكنة المنطقة.

مع نهاية القرن 19م تقلص بشكل كبير عدد العبيد الذين كانوا يعيشون في المنطقة إلى بعض الفئات فقط، بسبب تراجع تجارة العبيد عبر الصحراء من غرب إفريقيا ويحتل البدو الرحل معظمهم كانوا يشتغلون كخدم وكرعاة لصالح لدى الشرفاء.²

ان تقسم سكان القصر إلى هذه الأصناف الاجتماعية، يحيلنا على التفاوت الطبقي بين سكان منطقة تافيلالت بشكل عمودي، بحيث نجد الشرفاء ثم الأحرار وفي ما بعد الحراثين، وهذا الترتيب الاجتماعي لساكنة تافيلالت تدخل فيه عواما اقتصادية وسياسية بل وجغرافية فلكل فئة اجتماعية ووظائف وأنشطة تساهم من خلالها في حسن تنظيم وتطور ساكنة القصرى على جميع المستويات.

¹ إ. د ان روس، كتاب المجتمع والمقاومة في الجنوب الشرقي المغربي، "المواجهة المغربية للإمبراطورية الفرنسية" "1912-1981" الطبعة 2006، ص "46، 47، 48" بتصرف.

² المرجع نفسه بتصرف.

ان ساكنة قصور تافيلالت تتألف من سبعة تجمعات من القصور، أو مقاطعات هي " السيفا، تانجوت، واد إيغلي، والغرفة، والسفالات، وبني محمد.

ب- الوظائف التاريخية للقصر بمنطقة تافيلالت

يلعب القصر بمنطقة تافيلالت، ثلاث وظائف أساسية، وظيفة التحصين، وظيفة السكن، والوظيفة الاقتصادية إلى جانب مؤسسات أساسية تسيّر حاجات القصر قصد المنفعة، أما التحصين فهو يضمن الاستقرار، ويدفع الأخطار ويحول بين القصر وبين كل ضرر يلحق به.

تتميز المناطق الجنوبية بالأخص واحة تافيلالت ودرعة، وفكيك بوجود العديد من القصور والقصبات، وهي نمط استقرار وسكن متميز متأثر بالمعطيات الطبيعية والاقتصادية والسياسية، منذ انتشار ظاهرة بناء القصور في المنطقة وهذا كان له انعكاس على التنظيم الاجتماعي للقصور من خلال وضع مؤسسات تسيّر شؤون الحياة العامة به، في شكل علاقات اجتماعية تسود بين سكان القصر باعتباره خلية تظم العديد من السكان في نوع من الترابط الاجتماعي.¹

ج- الوظيفة السياسية

يتميز القصر بمنطقة تافيلالت بكونه يتشكل من مكونات المواد المحلية المتمثلة في " الطين والخشب" المستخرج من أشجار النخيل على مستوى الشكل المعماري، ما يمتاز به القصر بمنطقة تافيلالت وجود سور خارجي يتخلله أبراج تلعب أدوارا هامة في الحفاظ على سلامة الأسوار "ص 113".

من حيث الوظيفة السياسية للقصر، يعد مجال لتدبير الحياة السياسية للتركيبة الاجتماعية المختلفة للسكان المحلية، ومن حيث العمران هذا يعود تاريخيا إلى آلية الدفاع عن مصالح الجماعة وبقائها واستمرارها، فعلى المستوى السياسي والأمني العام، يتخذ القصر من حيث هندسته المعمارية وسط اجتماعي تتضارب فيه المصالح وهذا ما يتطلب من الكيان السياسي المتمثل في "الشيخ" و"المزاريك" والصلحاء الحفاظ على أمن وسلامة الجماعة المتمثلة في "القبيلة" أو "الفخدة" التي تدافع عن مصالحها الخاصة وتكيف عمران القصر مع الحياة السياسية المتعارف عنها محليا بمنطقة تافيلالت. "ص 113".

تتضح الحياة السياسية داخل القصر في شقين، شق مرتبط بتدبير الشؤون الداخلية، والثاني بتدبير علاقات القصر بالوحدات السياسية الكبرى، ان مؤسسة "الشيخ" تعد ابرز مؤسسة في القصر والذي يتم انتخابه عن طريق الأغلبية ويعاد انتخابه لمدة ستة اشهر لدى الساكنة إلى جانب مؤسسة الشيخ هناك "لمزاريك" وهم ممثلي الفخذات.²

د- الوظيفة الاقتصادية

تقوم المصالح الاقتصادية للقصر بمنطقة تافيلالت على أهمية "الأرض" باعتبارها مصدر الثروة، الدكتور محمد مزين أكد بأن تدبير المصالح الاقتصادية للقصر بالمجتمع الفيلالي يتمثل في العناصر التالية "ص 114".
تنظيم الحياة الزراعية.

- الحفاظ على الأرض والحرص على عدم انتقالها خارج المجموعة.

- الحفاظ على التوازن الاقتصادي للقصر.

¹ كتاب "العمران والمجال والإنسان في تاريخ المغرب" مؤلف جماعي، تنسيق رحمون الحسين، الطاهر بلمهدي الطبعة 2017، مقال بعنوان " الجماعة، القبيلة وتسيّر شؤون القصر بتافيلالت، محمد لمراي علوي.

² د: موسى محمد، " تافيلالت من أطروحة التراجع والأزمة إلى أطروحة التحول والإستمرار: أداء الواحات بين المقاربتين المشهدة والشمولية، أي تنمية؟" بحث لنيل دكتوراه الدولة بجامعة محمد الخامس -الرباط- تأطير الدكتور امحمد بلقفي سنة 2001-2002، ص 113، 114، بتصرف.

تشكل الأرض مصدرا للثروة وذلك بالتعاون بين مختلف الفئات الاجتماعية في مختلف الأنشطة الاقتصادية التي تتوزع جغرافيا على الشكل التالي:

تنجويت: تمتد من شمال شرق تافيلالت إلى شرق واد زيز على بعد 2 كلم، من واحة أولاد الزهرة، فئة الشرفاء التي تشكل أهم من الساكنة.

واد إيفلي: تمتد على طول واد الشرفاء على مسافة 10 كلم، طولاً و 5 كلم عرضاً جنوب قطاع تنجويت، مجال يعرف كثافة سكانية مرتفعة تلعب دور مخزني تاريخي بمنطقة تافيلالت، ومركز تجاري متمثل في قصر "أبوعام" وخاصة خلال المرحلة الفاصلة ما بين 1862 و 1864 خلال القرن 19م، حيث كان يستقطب تجار مدينة فاس الذين يوزعون البضائع القادمة من السودان على جل مناطق المغرب، ويظم قطاع واد إيفلي "36 قصرًا" ص 118.

تيزمي، تضم واحات مدينة أرفود رغم كون تيزمي لم يتم إدراج موقعها ضمن منطقة تافيلالت، إلا أن هذا المجال يشكل قبائل "عرب الصباح" التي تتكون من ثلاث فرق أو فخذات أهمها، المعاضيد التي تحتضن أحد أكبر قصور تافيلالت إلى اليوم إلى جانب واحات أولاد الزهرة التي تضم "30 قصرًا".

فزا الجرف: تتموقع غرب واد غريس، مجال يشكل امتداد لتيزمي في اتجاه الغرب من أهم قصوره " حنابو، والجرف، منقرة، فزنة " وهو مجال الخطارات بالدرجة الأولى يضم " 30 قصرًا".

إن النسق الاجتماعي الذي يفسر الدينامية الاجتماعية التي تنبني على أساس خلدوني، وذلك بتشكله نسبياً من مفهوم "العصبية" وهذا يخلق تفاعل محلي ودولي عبر التاريخ الاجتماعي لسكان تافيلالت كمعطى بنيوي بما هو محلي ودولي وهذا تؤكد الدراسات التاريخية المحلية حول التبادلات التجارية والاندماج الاجتماعي الذي توطئه السلطة المخزنية. ص 1120.

ي: مميزات القصور بعد اندثار سجل ماسة وتاريخها

لقي العديد من الباحثين صعوبة في التأريخ للقصر الفيلاي، نتيجة شح المصادر وغياب الوثائق المتعلقة بالموضوع، خاصة بعد اندثار سجل ماسة وقبل تأسيسها سنة 140 هجرية، إن الدراسات التاريخية حسب بعض المؤرخين تؤكد أن هناك قصور بمنطقة تافيلالت سابقة لفترة تأسيس مدينة سجلماسة، وأخرى يعود تاريخ تأسيسها إلى القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي، ونخص بالذكر هنا قصر " الجبيل " الذي يقع شمال غرب جماعة بني أمحمد بين منطقتين مرتفعتين وقد ذكرت الباحثة " جاك موني " أن قصر أبار المخزن يعود إلى نفس المرحلة، رغم أن موقعه المتميز والمشجع على الاستقرار، وهناك من الباحثين من يؤكد أن القصر يعود تاريخه إلى فترة هجرة القبائل المشرقية واستقرارها بمنطقة تافيلالت خاصة بعد الفتح الإسلامي فضلاً عن هجرة الفئات الأندلسية.

المكونات العمرانية للقصر بمنطقة تافيلالت

تختلف المكونات المعمارية للقصر بمنطقة تافيلالت عن التنظيم العمراني الذي كان سائداً بمدينة سجلماسة وخاصة في فترة ازدهارها، نجد العديد من القصور تألفت في المكونات التالية.

أولاً: مدخل القصر

يتميز مدخل القصر بارتفاعه على باقي المكونات العمرانية للقصر ويشكل جدران مستوية أو وحدات بنائية عبارة عن أقواس بين القصر وفم القصر بمثابة واجهة معمارية تشكل نمط معماري أصيل يظم دقة في الزخرفة والرونقة تلهب أنظار الزوار والساكنة المحلية .

¹ المرجع نفسه، ص 118، 119، 120 بتصرف.

ثانياً: أسوار القصر

تشكل أسوار القصر من سلسلة من الجدران العالية تختلف من حيث الارتفاع المتراوح ما بين 5 إلى 7 أمتار وقد تصل في بعض القصور إلى 8 أمتار، وسمنها ما بين 50 و100 سنتيمتر تحيط بالقصر من مختلف واجهاته. ثالثاً: الأبراج، عبارة عن أسوار مرتفعة العلو تختلف وتتفرد بنمط عمراي مخالف لباقي مكونات القصر العمرانية يوجد بها حارس أو أكثر وظيفته حراسة القصر من هجومات الأعداء من القبائل المجاورة التي تشوبها بعد الصراعات الاجتماعية والسياسية مع ساكنة المحلية للقصر، نجد أغلب القصور تتوفر على أربعة أبراج كل برج يوجد في احد زوايا القصر الأربعة وهناك بعض القصور التي يفوق عدد أبراجها أربعة أبراج. رابعاً دروب وأزقة القصر، تلعب الأزقة دوراً هاماً داخل القصر تشكل مساحة لعبور الساكنة وفضاء للروابط الاجتماعية المتمثلة في التعاون والتآزر الاجتماعي والاقتصادي والأمني لساكنة القصر. "ص56"¹

البعد الجغرافي لقصور منطقة تافيلالت

أول: المكونات الطبيعية للقصور بمنطقة تافيلالت

تتميز القصور بمنطقة تافيلالت، من الناحية الجغرافية بوجودها ضمن واحات بين واد غريس وواد زيز، لكون منطقة تافيلالت عبارة عن هضبة عبارة عن طبقات من الترسبات نتيجة انكسار جيولوجي أطلسي خلال العصر الجيولوجي الثالث، هذا الانكسار شكل منخفضاً غمرته فيما بعد الترسبات النهرية والجليدية خلال العصر الرابع وقد استمرت إلى اليوم بفعل الأودية التي تغمر واحات تافيلالت أي واد زيز وواد غريس "ص8".

ثانياً: انعكاسات المناخ على ساكنة قصور منطقة تافيلالت

إن ما يميز منطقة تافيلالت هو مناخها الشبه الصحراوي، والمناخ القاري الشبه الجاف الذي يمر عبر فصلين أساسين، فصل الشتاء ذو الطقس البارد والرطوبة الضئيلة والرياح الباردة والجافة وفصل الصيف المتميز بحرارة وجد مرتفعة مصحوبة في غالب الأحيان بهبوب رياح حارة وجافة "الشركي" والتساقطات ضعيفة وغير منتظمة بسبب الموقع الجيو- مناخي وبسبب التبخر، تبدأ الأمطار عادة في شهر شتنبر إلى غاية شهر أبريل. ومن المرتكزات الأساسية التي تعتمد عليها ساكنة القصر الماء باعتباره ثروة طبيعية لا يمكن الاستغناء عنها وهو يعرف ندرة، هذا ما يدفع الساكنة إلى الترحال محلياً بمنطقة تافيلالت أو الهجرة خارج المنطقة إلى المدن للبحث عن فرص الشغل، لكن رغم قساوة المناخ فإن منطقة تافيلالت تحتضن العديد من الأجناس البشرية المختلطة، التي عرفت الاستقرار من العصر "الحجري القديم" وتلاها توافد العديد من المجموعات الإثنية والعرقية المختلفة الأصول والعادات والتقاليد واللغات وهذا ساهم بدوره في تطور ساكنة القصور بمنطقة تافيلالت عبر التاريخ وتكون عدة أجناس عرقية مختلفة متمثلة في 2:

الأمازيغ، باعتبارهم السكان الأصليين بالمنطقة والذي كانوا خلال العصر الوسيط يتكونون من ثلاث فئات هي على الشكل التالي:

العنصر الزناتي: يشمل هذا العنصر قبائل مكناسة التي يرجع إليها الفضل في بناء سجلماسة وفي خلق أول نواة للاستقرار بالمنطقة والتي استطاعت التحكم في المنطقة لمدة قرنين من الزمن "الدولة المدراية" 772-976م ثم قبائل مغراوة التي حكمت في المدينة ابتداء من سنة 976 إلى غاية دخول المرابطين للمدينة سنة 1054م وأخيراً قبائل بني مرين التي استقرت بالمنطقة منذ بداية القرن 13م.

¹ المرجع نفسه بتصريف.

² تاوشيتح لحسن، "واحة تافيلالت بين الأمس واليوم" المجال والمجتمع بالواحات المغربية، سلسلة ندوات "1993/6م" جامعة المولى إسماعيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية. "ص8" بتصريف.

قبائل صنهاجة تمثل أكبر كثافة إلا أن معظمها لا يعرف الاستقرار إلا مع سيطرة المرابطين على سجلماسة "ص13".

قبائل مصمودة: تكونت هذه القبائل مع سيطرة الموحديين على سجلماسة "1139-1159م" كانت هذه القبائل تتعاظم للتجارة والجندي والقضاء والإدارة إلا أنها تمثل أقلية بالمقارنة مع العناصر الأخرى "ص13".

وإلى جانب القبائل والأجناس المختلفة، نجد أن منطقة تافيلالت تشكلت من طبقات اجتماعية تلعب عدة أدوار تاريخية واجتماعية مختلفة على الشكل التالي:

الطبقة العليا: تضم فئة الشرفاء والمرابطين وباقي العلماء والرؤساء والإداريين، وهي طبقة جد محترمة تتسم بنمط ثقافي واجتماعي مرموق.

الطبقة الوسطى، تنبني هذه الطبقة على فئة التجار الذين كونوا ثروة هائلة من قبل تجارة القوافل وأصبو ذو شأن بين جميع الفئات الاجتماعية الأخرى.

الطبقة الانتقالية، تتألف هذه الطبقة من صغار التجار والحرفيين والملاكين.

الطبقة الدنيا، تتألف هذه الطبقة من الحرائين والعبيد الذين يتعاطون للخماسية أو العمل كخدام عند

الطبقات العليا، وتعرف مستوى معيشي وثقافي بسيط.1

خاتمة:

عرف التراث المعماري إلى جانب مكوناته المادية المتمثلة في القصور والقصور وما تحمله من مكونات وأدوات ذات حمولة تاريخية وفنية أصيلة، تراث غير مادي متمثل في صيت الثقافة المحلية من "رواية شفوية وأهازيج ولهجات وفولكلور" محلي وجهوي يجتمع بين نقط التشابه بين الثقافة المغربية، والاختلاف حسب المناطق والجهات نظرا للتحويلات السوسو- مجالية التي عرفها المغاربة عبر التاريخ.

رغم هذا التباين يتوجب على الجهات الأهلة بالمحافظة على التراث المعماري وصيانتته، إنقاذ التراث المعماري في إطار إستراتيجية شمولية تشرك جميع القطاعات الحيوية وباقي مكونات المجتمع المغربي وذلك بإدخال التراث المعماري ضمن الأهداف الكبرى التي يسعى النموذج التنوي المنشود وطنيا ودوليا الوصول إليها في المستقبل، لأن التراث المعماري يعد رافعة أساسية من رافعات التنمية بشتى مكوناتها المجالية وتخصصاتها المعمارية.

قائمة المراجع:

الكتب

1- إ.د ان روس، كتاب المجتمع والمقاومة في الجنوب الشرقي المغربي، "المواجهة المغربية للإمبراطورية الفرنسية "1912-1981" الطبعة 2006.

2- كتاب "العمران والمجال والإنسان في تاريخ المغرب" مؤلف جماعي، تنسيق رحمون الحسين، الطاهر بلمهدي الطبعة 2017، مقال بعنوان "الجماعة، القبيلة وتسير شؤون القصر بتافيلالت، محمد لمراي علوي.

3- دليل المحافظة على التراث، الطبعة الأولى 1426، المملكة العربية السعودية، وزارة الشؤون البلدية والقروية مكتبة الملك فهد الوطنية.

الرسائل الجامعية:

1- مبارك بوعصب: مساهمة في دراسة قصور تافيلالت من سقوط سجلماسة إلى نهاية القرن العشرين "التاريخ والمعمار والانقراض"، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه بجامعة سيدي محمد بن عبد الله فاس-سايس 2011-2010.

¹ نفس المرجع "ص13" بتصرف.

- 2- البلعميثي (عبد الرحمان) وآخرون: القصور والقصبات، دراسة تفصيلية لمصطلحات عمرانية، بحث لنيل دبلوم مهندس معماري ، المدرسة الوطنية للهندسة المعمارية، الرباط ، 1992.
- 3- قسطاني (بن محمد): الواحات المغربية قبل الاستعمار "غريس نموذجاً"، الرباط : مطبعة المعارف الجديدة ، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية ، سلسلة الدراسات والأطروحات – رقم 3- ، 2005.
- 4- د: موسى محمد، " تافيلالت من أطروحة التراجع والأزمة إلى أطروحة التحول والإستمرار: أداء الواحات بين المقاربتين المشهدية والشمولية، أي تنمية؟" بحث لنيل دكتوراه الدولة بجامعة محمد الخامس -الرباط- تأطير الدكتور امحمد بلفقيه سنة 2001-2002.

المجلات:

- 1- تاوشيححت لحسن، "واحة تافيلالت بين الأمس واليوم" المجال والمجتمع بالواحات المغربية. سلسلة ندوات"6/1993م"جامعة المولى إسماعيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية. منشورات كلية الأدب والعلوم الإنسانية سلسلة الندوات والأيام الدراسة، ملتقى حضاري وفضاء للثقافة والإبداع أيام " 12-13-14، نونبر1992.
- 2- مجلة المناهل "مجلة فصلية تصدرها وزارة الثقافة المغربية فبراير 2005 العدد72-74 ، من تأسيس "الحاج محمد أبا حنيني" عنوان العدد "العمارة في الغرب قديماً" مقال د، لحسن تاوشيحخت، ص من 287 إلى 327 بتصريف.
- 3- تزلي (عبد الله)، " المسالك الطرقية بجهة تافيلالت بين ارث الماضي، وتحولات فترة الاحتلال (1912-1927)" ، جامعة المولى علي شريف.
- 4- امراني (علوي محمد): « القصور بالجنوب المغربي »، المناهل، عدد 88، يناير 2011، (ص 214) .